

قصة الـ ذبيج

دروس و عبر

خطبة معدّة لعيد الأضحى المبارك ١٤٤٦هـ

لِهُبَيْهِ أَعْبُدُ لِلرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّانٍ الْقَاضِي



قصة الذبيح دروس وعبر

الحمد لله الذي لشرعه يخضع من يعبد، ولعظمته يخشع من يركع ويسجد، وبطيب مناجاته يتلذذ المتبعد فلا يرقد، أحمده حمد من يرجو الوقوف على بابه غير مشرد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أخلص الله وتعبد، وأشهد أن محمدا عبد ورسوله الذي قام بواجب العبادة وتزود، صلى الله عليه وعلى سائر آله وأصحابه صلاة مستمرة على مدى الزمان المؤبد، أما بعد: فقد اجتمع لكم في يومكم هذا عيدان، عيد الأضحى المبارك، وعيد يوم الجمعة، وإذا اجتمع العيد الجمعة، فمن حضر العيد وكان بعيدا عن المسجد الجامع الذي تقام فيه الجمعة، فيرخص له في أن يترك صلاة الجمعة ولكنه يصلحها ظهرا في بيته، وقد اجتمع العيد الجمعة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، فذكر نحو ما ذكرنا، فقد روى الإمام أبو داود - رحمه الله تعالى - بسند صحيحه الألباني - رحمه الله - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «قد اجتمع لكم في يومكم هذا عيدان، فمن شاء أجزاء من الجمعة وإنما مجمعون»، وهذا الحديث أصل في الباب.

أيها المسلمين! إن خير ما نتوافق به في هذا الصباح المبارك، تقوى الله عزّ وتبارك، فهي خير لباس، وأعظم زاد للناس.

ولا يتحقق التقوى إلا بكمال التسليم والرضى، ويظهر ذاك جلياً في أبهى صوره، وأجمل حلله، في قصة الذبيح، وما أدرك ما قصة الذبيح!! إنها ذروة سنام التسليم، وغاية الرضى ومتنهى التقديم، لأمر الله البر الرحيم.

عباد الله: يتوجه الحجاج في هذا اليوم وفي هذه اللحظات المباركة إلى ذبح الهدى والأضاحي وإلى رمي جمرة العقبة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولنا أن نتأمل كيف ظهر الشيطان لنبي الله إبراهيم ليوسوس له ولি�صده عن القيام بما أمر به من ذبح ولده إسماعيل، قصة الذبيح، وما أدرك ما قصة الذبيح!! قصّها الله علينا في كتابه الكريم، قال ربنا جلّ وعلا ﴿فَبَشَّرَنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ١١١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَأْبَىٰ أَفْعَلَ مَا تُؤْمِرُ سَتَحْدِنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ١١٢ فَلَمَّا أَسْلَمَهُ وَتَلَهُ لِلْجَيْمِينَ ١١٣ وَنَدَيْنَهُ أَنْ يَتَأَبَّهِ ١١٤ قَدْ صَدَقَتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ بَخْزِي الْمُحْسِنِينَ ١١٥ إِنَّ هَذَا لَهُ الْبَلَوْءُ الْبَيْنُ ١١٦ وَقَدَيْنَهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ١١٧ وَرَرَكَنَاعَيْهِ فِي الْآخِرَةِ ١١٨ سَلَمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ١١٩ كَذَلِكَ بَخْزِي الْمُحْسِنِينَ ١١٩ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ١٢٠ [سورة الصافات: ١٠١-١١١]

وروى الحاكم في مستدركه وهو حديث صحيح بشواهده عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله عز وجل فلما بلغ معه السعي قال: شب حتى بلغ سعي إبراهيم في العمل، فلما أسلما ما أمرا به وتله للجفين وضع وجهه إلى الأرض فقال: لا تذبحني وأنت تنظر عسى أن ترحمني فلا تجهز علي اربط يدي إلى رقبتي، ثم ضع وجهي على الأرض فلما أدخل يدي ليذبحه فلم يحك المدية

حتى نودي {أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا} فامسك يده ورفع فذاك قوله {وفديناه بذبح عظيم} أي بكبس عظيم متقبل»

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد بن جبر أنه قال في قوله (وَتَلَهُ لِلْجَبَّينِ) قال: وضع وجهه للأرض ، وقال: لا تذبحني وأنت تنظر إلى وجهي، عسى أن ترحمني ولا تُجْهَز عَلَيَّ، واربط يدي إلى رقبتي، ثم ضع وجهي للأرض.

وروى الإمام أحمد وغيره والحديث صحيح بشواهده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "إن إبراهيم - عليه السلام - لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى، فسابقه، فسبقه إبراهيم ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان ، فرمى بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى ، فرمى بسبع حصيات - وثم تله للجبين وعلى إسماعيل قميص أبيض - وقال: يا أبا إبراهيم ليس لي ثوب تكتفي فيه غيره ، فاخلعه حتى تكتفي فيه ، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه: {أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم} فالنفت إبراهيم، فإذا هو بكبس أبيض، أقرن، أعين".

وخلالصة هذه القصة العظيمة أنَّ الله تعالى أبلى نبيه إبراهيم بابتلاء عظيم وهو أنه أمره بذبح ولده ووحيده الذي رزقه في كبره فلما اطمأن به وأنس إليه أمره ربه برؤيا في المنام ورؤيا الأنبياء وهي من الله فرأى في المنام أنه يذبح ولده وفلذة كبده فاستسلم لأمر الله وأخذ مهجة فؤاده وزهرة حياته ليرضي إلهه، فلما ذهب

ليذبحه عرض له الشيطان يعاتبه في ذلك فرماه عند العقبة الكبرى بسبع حصيات فخنس الشيطان واختفى ثم ظهر له مرة ثانية عند الجمرة الوسطى يعاتبه ويوسوس له ويريد أن يصده عن أمر ربه فرماه بسبع حصيات فخنس واختفى ثم ظهر له مرة ثالثة عند الجمرة الصغرى فرماه بسبع حصيات ثم أضجع ولده للذبح فلما أراد أن يمرر السكين على رقبة هذا المسكين ناده الوحي المبين قد صدق الرؤيا وحققتها، ففداء الله بذبح عظيم، وشرع بسبب هذه الحادثة ذبح الأضحى والهدي، ورمي الجمرات الثلاث.

وقد اشتملت هذه القصة على لآلئ ودرر، وفوائد وعبر، نذكر منها ما يتيسر:

الفائدة الأولى: مكانة نبي الله إبراهيم عليه السلام؛ فإن البتلاء على قدر قوة الإيمان، وقد ابتلى الله نبيه وخليله إبراهيم بهذا البتلاء العظيم وهو أمره بذبح ولده ووحيده، وفلذة كبده، الذي رزقه على عجز وكبر، وصار عنده أغلى من السمع والبصر، ولذلك أن تخيل رجلاً بلغ من الكبر عتيقاً وهو يتمنى الولد ثم يرزق بولد فهو يتمنى أن يقوى عوده ويشتند ساعده ليكون له سندًا وعوناً ف يأتي الأمر من الله بذبح مهجة الفؤاد وسلوة القلب فهذا اختبار في غاية الصعوبة ولكن نجح فيه الخليل إبراهيم عليه السلام.

الفائدة الثانية: ما لحكمة من أمر الله لنبيه وخليله إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده؟

في ذلك حكم كثيرة إلا أن أعظمها وأجلها صفاء قلب إبراهيم عليه السلام وأن لا يكون في قلبه محبة لأحد غير الله، ولهذا صار إبراهيم أمّة لوحده قال

تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً فَانِتَأَ لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٥] ونال بذلك إبراهيم عليه السلام قلبا سليما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ، يَقْلُبُ سَلِيمٍ﴾ [سورة الصافات: ٨٤] ولأن مرتبة الخلعة أعلى من مرتبة المحبة؛ فأراد الله أن ينال إبراهيم عليه السلام هذه المرتبة، ولا سبيل إلى نيلها إلا بخلوص القلب له وحده لا شريك له، ولما دخل في قلبه حب الولد والتعلق به، أراد الله أن ييقن هذا القلب خالصا له فأمره بذبح محبوبه، فلما استسلم لأمر ربه وقدم محبة ربه على محبة ولده، وذبح في قلبه محبة ولده، وقدّم مرضات ربه، فهنا تحقق المراد من هذا الأمر، فنسخ الله الأمر، وفدى الله الذبيح إسماعيل بكبس عظيم.

الفائدة الثالثة: أن المنح تكون بعد المحن، وأن حسن الجزاء يكون بعد النجاح في الابلاء؛ فإن إبراهيم عليه السلام لما ابتلاه ربه بهذا الابلاء العظيم ونجح فيه، جاءته المنح من الله؛ وذلك بأن فدى الله إسماعيل بكبس عظيم، وبأن جعل الأضاحي والهدي سنة باقية، وبأن جعل الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بينياب الكعبة المشرفة، وبأن جعل له ولده هذا نبيا ورسولا، وبأن نال مرتبة الخلعة وهي أعلى مقامات المحبة، قال تعالى: ﴿وَأَخْذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٢٥] وبأن أمر باتباع ملته والاقتداء به عليه السلام، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ أَتَبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٣]

وبأن جعله إماماً يقتدى به، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَبْتَأَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَهُنَّ ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤] وبأن جعله أمة وأثنى عليه ومدحه بما لم يمدح به نبياً سواه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً فَانِتَأَ لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة النحل: ١٢٠] وبأن نَزَّهه وبرأه من الشرك قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة النحل: ١٢٣] وقال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة النحل: ١٢٠] إلى غير ذلك من المنح والعطايا الله أعطاها الله نبيه إبراهيم عليه السلام.

الفائدة الرابعة: التسليم لله فيما شرع، فهو الحكيم لا يشرع شيئاً إلا لحكم عظيمة، ولا يقوم ساق الإسلام إلا على قدم التسليم، ولا يلتج العبد حقيقة الإيمان إلا بسفينة الرضى، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا شَسَّلِيماً ﴾ [سورة النساء: ٦٥]

وهذه علامة الفلاح ودليل الفوز والنجاح قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَىَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النور: ٥١] فالمؤمن من يأخذ الدين كاملاً ولا يتتقى منه ما يشاء ويختار منه ما يعجبه بل يسلم لشرع الله كاملاً قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾

﴿٣٦﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦] فيا أيها المُسْلِم أنت مسلم أي مستسلم ومنقاد لأمر الله

تعالى فاحذر أن تتمرد على الله الذي خلقك وسواك وعدلك وأعطاك ورزقك

الفائدة الخامسة: نستفيد من هذه القصة التضاحية والبذل من أجل نيل محبة

الله ورضاه فإن الخليل إبراهيم عليه السلام ضحى بولده ليبلغ ولينال محبة الله

ورضاه وهذا يعطينا درساً مهماً ألا وهو أن كل شيء يهون في سبيل نيل محبة الله

ورضاه وأن العبد يبذل الغالي والنفيض من أجل نيل محبة الله ورضاه فالخليل

إبراهيم تخلى عن ولده إرضاءً لربه وأنت لا تستطيع أن تخلى عن بعض ملذاتك

الدنيوية المحرمة أو التي تصدقك عن طاعة الله وتلهيتك عن الصلاة والعبادة ثم

تريد جنةً عالية قطوفها دانية، تريد جنة تراها المسك والزعفران، وحصباوتها

الياقوت والمرجان، بناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، فيها ما لا عين رأت ولا

أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ألا تستحي من ربك حينما يناديك إلى بيته

ولا تجيب وتبقي عاكفاً على ملذاتك، إبراهيم عليه السلام أراد ذبح ولده إرضاءً

لربه وأنت لم تقدر على ذبح هواك ولم تقدر أن تتنصر على نفسك.

ومن فوائد هذه القصة: حسن العاقبة لمن امثل أمر الله: فإن إبراهيم عليه السلام لما

امثل الأمر حفظ الله له ولده وفداه بكبش عظيم، وكتب الأجر العظيم لهما.

ومن الدروس وال عبر في هذه القصة: بر الابن بأبيه وطاعته له ولو أمره بأمر شاق

فيحرص على طاعته ما أمكن، والبر من أعظم العبادات وأجل القربات فلا ينبغي

للمسلم أن يتهاون به.

ومن الدروس وال عبر في هذه القصة: استعانا العبد بربه في القيام بالعبادة والطاعة

فهذا إسماعيل عليه السلام يقول: ﴿سْتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾

ومن الدروس وال عبر في هذه القصة: حسن سياسة الأب لابنه عند أمره بالطاعة

فيرغبه في ذلك ويبين له منافع العبادة وضرر المعصية حتى يقبل على العبادة برغبة

ومن الدروس وال عبر في هذه القصة: تعاون الأبناء والأباء والأزواج والزوجات

والإخوة والأخوات والأصدقاء كل واحد يعين الآخر على القيام بعبادة الله تعالى

ومن الدروس وال عبر في هذه القصة: مشروعية الأضحية فهي سنة نبي الله إبراهيم

وتحث عليها نبينا عليه الصلاة والسلام وإن دمها ليقع عند الله بمكان قبل أن يقع

على الأرض.

ومن الدروس وال عبر في هذه القصة: مشروعية العقيقة عن المولود وهي فداه

فيبنغي الحرص على القيام بها

ومن الدروس وال عبر في هذه القصة: مشروعية رمي الجمار كل جمرة بسبعين

حصيات وهي شعيرة ومنسك من مناسك الحج وهي تعبد لله واقتداء بنبي الله

إبراهيم وليس تلك الجمار هي الشيطان الرجيم ولا ينبغي الرمي بالنعال

والأحجار والعلب ونحو ذلك مما يفعله الجهل.

وهذه القصة مليئة بالفوائد والدرر، والدروس وال عبر، وما ذكر فيه عبرة لمن

اعتبر.

معاشر المسلمين! أوصيكم ونفسي بتقوى الله جل وعلا، والبعد عن
المخالفات خصوصا التي تكون في الأعياد والمناسبات، كالاحتلاط،

والمحاصفة للنساء الأجانب، والتبذير والإسراف، وهكذا السرعة والعجلة في قيادة السيارات وفي قيادة المترات مما يتسبب في حصول الحوادث والكوارث، وأوصيكم بالنساء خيراً كما أوصى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلموهن وأدبوهن وانصحوهن وارفقوا بهن، وأوصيكم بالمحافظة على أولادكم من جلسات السوء ومن فتنة العصر ألا وهي فتنة الجوالات ونحذر من الانخراط في وسائل التواصل ومن المتابعة للتأفهين والتافهات ومن الانغماس في وحل التمثيل فهو مستنقع قذر وسوق نخاسة ومرتع نجاسة وأنتم مسؤولون أمام الله عن أبنائكم وبناتكم فحوطهم بنصحكم وتأديبكم

أيها المسلمين! إننا ندين ونستنكر ما يحصل لإخواننا في فلسطين من عدوان غاشم من أعداء الله وندعو جميع المسلمين إلى الوقوف صفاً واحداً مع إخوانهم ومناصرهم وندعو المسلمين إلى نبذ الخلاف وتغليب المصلحة العامة للبلد، وفتح الطرقات، والسعى لمصالحة وطنية شاملة، فنحن مع السلام، وندعو إلى السلام، ونرفع رايات السلام، فلا خير في الحرب والفتنة.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، اللهم عليك بأمريكا ومن معها، اللهم عليك بدولة اليهود، اللهم اجعلها غنيمة للإسلام والمسلمين، اللهم كن لإخواننا في فلسطين، اللهم انصرهم على عدوكم وعدوهم يا رب العالمين، اللهم كن للأيتام والأرامل والضعفاء والنازحين والمشردين اللهم أطعم جائعهم وأمن خائفهم يا رب العالمين.

ونقول لكم جميعاً عيدهم مبارك وتقبل الله مناً و منكم صالح الأعمال والحمد لله رب العالمين.